مصدر الروايات المنقولة ومعالجتها في التفسير
من وجهة نظر الفريقين

د. محسن قمر زاده (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد ومدير قسم التعليم، جامعة طهران للإذاعة، إيران
ghamarzadehm@gmail.com
نرگس يزدانپور
باحثة من المستوى الرابع في مجمع كوثر العلمي، طهران، إيران
n.227yas@gmail.com

he source of transmitted narrations and treatments in al-Tafsir is the point of view of the two parties

Dr. Mohsen Qomarzadeh (responsible writer)
Assistant Professor and Head of the Department of Islamic Studies at the Islamic Republic of Iran Broadcasting University in Tehran
Narges Yazdanpour
Level 4 researcher at Kawsar Scientific Complex , Tehran , Iran

الملخص:-

إنّ إشكالية هذا البحث هي مصدر الروايات المنقولة وباثولوجيتها في التفسير من وجهة نظر الفريقين. بما أنّ الروايات المنقولة هي مجموعة أحاديث وردت كأحاديث شيعية بحسب الأدلة والبراهين، من المصادر السنية (مذهب الخلفاء) إلى كتب الشيعة (مذهب أهل البيت)، فإن لها دوافع متعددة، أهم المواضيع التي تمت مناقشتها في المصدر هي المشتركات السردية، الروايات المتعلقة بنزول الآيات، الرواة الذين يشتركون في نزول الآيات، الثقة في ظاهر بعض الآيات، وجود بعض الروايات الشيعية والمكانة العلمية والمكانة الاجتماعية لبعض علماء الشيعة، وجود روايات موضوعة أمّا أهم المسائل المطروحة في باثولوجيا هي الخلط بين الروايات الأصيلة وغير الأصيلة، وظهور التزييف والمصادر الإسرائيلية في المصادر الشيعية، وعدم التمييز بين الجيّد والرديء، إنّ مصدر هذه المسألة يعود إلى القواسم الدينية والرواة المشتركين وغيرها من العوامل التي يغلب عليها الجانب السلبي، وما يسببه من أضرار يؤدي إلى عدم صحّة الروايات وعدم الثقة بها.

الكلمات المفتاحية: المصدر، باثولوجيا، الروايات المنقولة، التفسير، الفريقين.

Abestrac:-

The problem of this research is the source of the transmitted narratives and pathologies in the interpretation, according to the two teams. Since the transmitted narrations are a collection of hadiths that have been transmitted as Shia hadiths according to evidence and proofs, from al-Sunni sources (the sect of the Caliphs) to the books of the Shia (the sect of Ahl al-Bayt), they have multiple purposes. The most important topics that have been discussed in Al-Masdar are the shared narratives, the narrations related to the revelation of the verses, the narrators who share in the revelation of the verses, the trust in the appearance of some verses, the existence of some Shia narrations, the scientific status and the social status of some Shia scholars, the existence of related narrations, but the most important issues raised in Pathology are the confusion between authentic and authentic narrations, the appearance of falsification and Israeli sources in the Shia sources, and the lack of distinction between the authentic Wallerdee. The source of this issue is due to the religious abilities and narrators of the participants and other factors that are dominated by the negative side, and what causes harm leads to the inauthenticity of the narrations and lack of trust in them.

Key words: Al-Masdr, Pathology, Narrated Al-Rawayat, Al-Tafseer, Al-Leghteen.

المقدمة:ـ

من الأمور المهمة في علوم القرآن والتفسير لاكتشاف المراد الإلهي هي مقولة الروايات التفسيرية. تعتبر الروايات التفسيرية من أهم المصادر في مناقشة مصادر التفسير ضمن أصول التفسير في معرفة علوم القرآن وفي مناقشة التفسير نفسه. في عصرنا الحاضر أبحاث كثيرة حول مناظرات ووظائف وأنواع الروايات التفسيرية المختلفة، وهي من المناظرات التي تناولها العلماء.

الروايات المنقولة هي روايات نقلت من المذهب السني إلى كتب الشيعة حسب الأدلة حيث إنّها منسوبة إلى المعصومين عليهم السلام في تفسير بعض الآيات القرآنية في مصادر الشيعة. ولكن بعد التحقيق تبين أنّ النقل الانتسابي نقل من المصادر العامّة إلى كتب الشيعة وأنّ العلماء المتأخرين نسبوا الرواية إلى معصوم. في نقل الأخبار من مذهب إلى مذهب آخر هناك نوعان من الفكر:

١- الروايات المنقولة عن الشيعة إلى أهل السنة.

٢- الأحاديث التي وردت في مصادر أحاديث الشيعة من أهل السنة، واعتبرها الشيعة جزءا من أحاديثهم في حين أنه لا يلتفت إلى هذه النقطة بأنّ هذه الروايآت جاءت من أهل السنة. وفي هذا البحث تمت مناقشة النوع الثاني.

إنّ الروايات التفسيرية كغيرها من الأحاديث، وإن كانت مصدراً للمعرفة الراسخة ووسيلة لتعميق العقائد الصحيحة ووسيلة للتمييز بين الجيد والرديء في الدين، إلا أنها ليست بمنأي عن اختلاق وخطأ بعض الرواة في السماع وفهم الحديث أو نقله. لعل من أسباب ظهور مثل هذه الأسباب في الأحاديث هي فائدتها وأهميتها. لطالما كانت هناك جدالات وخلافات كثيرة حول صحة هذه الأحاديث بين علماء المسلمين، فمنهم من يعتقد بحجية هذه الأحاديث، والبعض الآخر يعتقد أنها غير صحيحة. إن النقد المحتوائي للحديث مع التركيز على الكتاب والسنة هو في الحقيقة علم بصدور الموافق وعدم صدور المخالف من المعصومين عليهم السلام في حين أنّ قبول الحديث أو رفضه في النقد السندي ينبني على غلبة الظن بإصدار الرواية أو عدم صدورها. أمّا من الناحية العملية إنّ نقد الحديث المبتني علي

القرآن غير مرحّب به لأسباب مختلفة منها: الشرح غير الكامل لمنهجيته، «صالة النقد الوثائقي وفرعية نقد المحتوى، وجود التشابه في القرآن، تبطين لغة القرآن، وجود التشابه في الحديث وموقف السنة بالنسبة للقرآن، ومدلول معيار القرآن، ولغة الحديث المتعددة الطبقات وقدسية جوامع الأحاديث» سواء من حيث التطبيق وتبيين الماهية وعلته ونوعيته وأساساته وطريقته ولم يتم بذل جهد كاف وشامل (رحمان ستايش و جمالي گندماني، ١٣٩٧؛ به نقل از مسعودي، ١٣٧٦).

خلفية البحث:

تشكل الروايات التفسيرية جزءاً مهماً من التراث الحديثي للمسلمين. استناداً إلى ثلاث موسوعات لتفسير الأحاديث - والتي كتبت في القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر - يمكن اعتبار عدد هذه الأحاديث أكثر من خمسة عشر ألفًا. (مهريزي، ١٣٨٩).

وكتب جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) عن عدد أحاديث الدر المنثور في كتابه الإتقان: «قد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي عليه السلام و الصحابه، فيه بضعه عشر ألف حديث ما بين مرفوع و موقوف». لقد جمع سيدهاشم البحراني (١١٠٧ ق) في تفسير البرهان، ١٢١٢٨ حديثاً كما جمع عبدعلي الحويزي (١١١٢ ق) في تفسير نور الثقلين، ١٣٤٢٢ حديثاً (مهريزي، ١٣٨٩).

من الواضح أنّ العديد من الأحاديث الواردة في هذه الموسوعات لا بد أن تكون قد نوقشت بجدية، مثل صحتها ووظيفتها. لكن في العقد الأخير فقط، لم نشهد سوى القليل من المناقشات والدراسات في هذا المجال، الذي لا يزال في بدايته (مهريزي، ١٣٨٩).

أدب البحث:

المصدر:

تتم مناقشة المصدر وأسباب هذه المشكلة بشكل مباشر وغير مباشر. الأصل أو المصدر في أي علم يشير إلى جذور وأسس ذلك العلم. بشكل عام، أصل كل علم يشمل التاريخ والفلسفة والمنهجية والمفاهيم والنظريات، بما في ذلك المفاهيم الأساسية والنظريات الرئيسية للعلوم وتطبيقاتها.

بعبارة أخرى، يشير "الأصل" إلى منصة ينشأ منها أو ينبثق منها شيء ما. في المناقشة الحالية، يشير "الأصل" إلى مصدر الرواية التفسيرية المنقولة؛ وأين مكان تطوره ولأي سبب نشأ؟

الحقيقة أنّ "الأصل" يبين سبب توجه مؤلفي كتب التفسير والباحث إلى نقل الرواية التفسيرية، ويسعى إلى توضيح أنه لو اضطر الباحث إلى التمحيص والبحث أكثر في رواية هذه الروايات لما كان هناك أي تناقض وأخطاء في تفسير الآيات.

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية: لماذا اتجه المفسرون الشيعة إلى نقل الأحاديث التفسيرية من المصادر السنية؟ ما هي العوامل التي لعبت دورا في هذه العملية؟ فهل هذه الاقتباسات تتم دون تحقيق وبحث؟ ما هي تبعات نقل الروايات التفسيرية من المصادر السنية على التفسير الشيعي؟

الروايات المنقولة:

إنّ كل لفظ وفعل وقول من المعصوم صراحة أو إشارة هو تفسير آية أو آيات من القرآن. لذلك فإن هناك دائما علاقة معرفية بين محور آية من القرآن والبيان السردي. ببيان آخر إنّه من خلال دراسة الأحاديث نجد أن بعض الأحاديث تفسر الآية بشكل واضح أو تشرح محورا من محاور الآية. مثل هذه الروايات هي مصدر التفسيرات الروائية؛ لكن من خلال البحث عن موضوعات الآيات في الروايات يمكن العثور على روايات تدل على معنى الآية دون تحديدها في الرواية، أو إعطاء تفسير للآية، حيث إنّ مساهمة مثل هذه الروايات في التفسيرات السردية للقرآن كانت قليلة جداً حتى الآن. في هذه الحالة، قد يقدم البيان الروائي معرفة فيما يتعلق بآية واحدة ويقدم معرفة أخرى فيما يتعلق بآية أخرى. من الناحية النظرية، فإن جميع الأحاديث لها علاقة معرفية بالآيات القرآنية. مع ذلك، لا يمكن في بعض الأحيان الادعاء أنه في الأحاديث التي لم تشر إلى الآية، كان معصوم يحاول توضيح أي آية بالضبط عند سرد الحديث، رغم أنه من الممكن إقامة صلة معرفية بين هذه الأحاديث والآيات مع دراسة متأنية (شكراني و سيدنادري، ١٣٩٧).

إنّ البحوث التي تمّ إجراؤها في مجال المفسرين السنة الذين يرجعون إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام تظهر أنّ هؤلاء المفسرين في القرون المختلفة كانت لهم وظائف مختلفة في التفاعل

مع أحاديث أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن. قد أكثر البعض مثل ابن عطية ورشيد الدين الميبدي في استخدام هذه الروايات وأنصفوا في نقدها؛ لكن البعض مثل الطبري والثعالبي وابن كثير لم يهملوا في الرجوع إلى أقوال أهل البيت عليهم السلام فحسب، بل ما أنصفوا في نقد هذه الأحاديث أيضاً (رحيمي و باقري، ١٣٩٦).

إن انتقال الروايات التفسيرية من المصادر السنية إلى الشيعية ظاهرة معقدة ذات جذور تاريخية ودينية متعددة. إن فهم هذه الظاهرة يتطلب بحثاً مفصلاً لمختلف العوامل والمجالات التي لعبت دوراً في هذه العملية.

الإطار النظري:

الروايات التفسيرية المنقولة من موضوعات يمكن الحصول عليها من خلال دراسة أصلها وباثولوجيتها للوصول إلى مصدر تفسيري خالص، ومن خلال تنظيف الروايات الشعبية التي اختلطت بها لأسباب مختلفة، يمكن الحصول على تفسير خالص ومتين دون غموض أو شك. إن التفسير الواضح الذي يحتاج إليه مجتمع اليوم وتحوّل أسلوب الحياة البشرية مع تلك التفسير، يميل نحو الأسلوب الإسلامي والسعادة الأخروية.

١- مصدر نقل الروايات التفسيرية

من المؤكّد أنه من بين الروايات المتعددة والكثيرة الموجودة في كتب الفرقين الروائية، هناك أحاديث منقولة من مذهب إلى آخر، وهناك أسباب كثيرة تدخل في ذلك. إنّ أصول ودوافع الروايات التفسيرية المنقولة عديدة ومباشرة وغير مباشرة، حتى أنّهم أحياناً ينقلون الروايات من مصادر أخرى إلى مصادرهم الخاصة من أجل تعزيز مدرستهم أو إضعاف مدرسة أخرى أو لتحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية. إنّ القصد من معنى الأصل في هذا البحث هو بحث أعمق في أسباب ودوافع انتقال الروايات التفسيرية من المصادر السنية إلى المصادر الشيعية، والتي نذكر بعضها في هذا البحث.

١-١-المشتركات الروائية

ومن أهم أسباب انتقال التقاليد من المذهب السني إلى المذهب الشيعي هو اشتراك هاتين المدرستين. ولتوضيح هذا الأمر تقدم أمثلة على هذه الروايات تقول الآية السابعة من

سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ إنّ هذه الآية تدل علي أعذار المشركين ورد الله عليهم. في العبارة الأخيرة للآية: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يردّ الله علي المشركين رداً واضحاً وعلي الرغم من قصر العبارة إلا أنّ هناك روايآت كثيرة في مصادر الفريقين.

- **روايات أهل السنة**

لقد طرح أهل السنة في كتبهم عدة روايات حول العبارة المذكورة، وكلها متفقة على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم هو المقصود بالمنذر، وقد عبّرت عن وجهات نظر مختلفة حول ما المقصود بالهادي ومن هو مثاله؟ يبدو أنّ جامع البيان هو الكتاب الأول الذي جمع تقريبا كل آراء أهل السنة، وقد ذكر الطبري في هذا الكتاب نظرين للهادي؛ الأول يشمل الآراء التي تعبر عن المفهوم العام للهادي والثاني هو الآراء التي تذكر أمثلة للهادي.

القسم الأول الذي يشير إلى المفهوم العام وهو:

١. يرى البعض أنّ المراد من الهادي هو أي نبي يقود إلى الله. قد روى بهذا الوجه أمثال مجاهد وقتادة وابن زيد.

٢. يري البعض أنّ المقصود بالهادي هو القائد والقائد الإمام، والإمام العمل)؛ ومن الذين يذهبون إلى هذا القول هم: ابو صالح، ابو عاليه و يحيي بن رافع. كما قال البعض إنّ المقصود من الهادي هو كلّ داع. هذا القول منسوب إلى ابن عباس.

القسم الثاني من الروايات التي تعترف بأمثلة هادي تشمل أيضًا نظريات مختلفة:

١. يعتبر البعض أنّ النبي محمد ﷺ هو مثال للمنذر ومثال للهادي. إنّ قتادة، وعكرمة، وأبو ضحي، وابن زيد ممن قال بهذا القول.

٢. يرى البعض الآخر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم هو المنذر والله هو الهادي لكل أمة. قد ورد فيمن قال هذا القول سعيد بن جبير ومجاهد بن عباس والضحاك. في الاستشهاد بالآراء، بما أنّ مجاهد، بالإضافة إلى هذا الرأي، كان من الأشخاص الذين اعتبروا كل نبي "قائدا" في قسم المفهوم العام فينبغي أن يقال: وفقاً للقول

الذي يذهب فيه إلى أنّ الله هو الهادي، انتسب إلى مجاهد قول واحد لكن في الرأي السابق قد رُويت عنه روايات أكثر. لذلك، على حسب عدد الروايات، فمن الممكن أن يكون القول بكون الله هاديا مختلقاً ومنسوباً إليه، أو إذا كان هذا من قول مجاهد فقد أخطأ في فهم هذه الآية بناء علي هذا القول: ﴿... ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ (زمر: ٢٣)

يعتبر البعض أنّ مثال الهادي بعد النبي ﷺ هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وفقاً لقول النبي ﷺ وهذا هو الرأي الوحيد المنسوب إلى النبي ﷺ والمروي عن ابن عباس.

يذكر الطبري في صحة هذه الأقوال أو تفضيلها أنّ معنى الهادي هو الإمام المقتدى به وهو إمام الناس؛ لذلك يجوز لله أن يكون هادياً، وأن يتبع الناس أوامره ونواهيه، كما يجوز أن يكون النبي ﷺ هو الهادى والمقتدي به. كما يجوز أن يكون هاديا إمام من الأئمة أو الداعي الذي يدعو إلى الخير أو الشر. في هذه الحالة فالقول الصائب هو أنّ النبي ﷺ منذر، ولكل أمة هاد يهديهم ويجب اتباعه (طبري، ١٤١٢ق، ج ١٣، ٧١).

ابن أبي حاتم الرازي، معاصر الطبري، في تفسيره "القرآن العظيم"، بالإضافة إلى عكرمة وأبو ضحي، يرى أنّ ابن عباس ومجاهد هما يذهبان إلى كون النبي ﷺ هادياً أمّا في كون الإمام علي عليه السلام هادياً يري أنّه

بالإضافة إلى أنّ ابن عباس، يؤمن الإمام علي عليه السلام هو نفسه وابن جنيد والإمام محمد باقر عليه السلام بهذا القول. كما يري أنّ ابن عباس إلى جانب الضحاك وابن جبير فيمن يقول إنّ الله هادي. وجهة النظر الأخيرة التي اقترحها كالهادي غير موجودة. كما أنّ هناك اختلافات في طرق وجهات النظر المذكورة؛ وهذا يعني أنه في بعض الآراء تم إضافة طريقة أو طرحها (ابوليث سمرقندي، ١٤١٤ق، ج٢، ٢١٨؛ جصاص، ١٤٠٥ق، ج٤، ٣٩٧؛ ثعلبي، ١٤٢٢ق، ج٥، ٢٧٢؛ مكي بن أبي طالب، ١٤٢٩ق، ج٥، ٣٦٧٧؛ ماوردي، لاتا، ج٣، ٩٦). في كتاب النكت والعيون، إضافة إلى آراء أخرى، نقل عن ابن عيسى قوله: الهادي معناه من يسبق في العلم والذي يقود الناس إلى الهدى (ماوردي، بي تا، ج٣، ٩٦).

- **الروايات الشيعية**

النقطة المشتركة في الأحاديث الواردة في كتب الشيعة هي أنّها جميعا متفقة على أنّ الهادي في الآية هو الإمام علي عليه السلام، مع ذلك، إنّ الروايات المذكورة تنقسم أيضاً إلى قسمين: القسم الأول روايات مروية عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، والقسم الثاني روايات روتها الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

بعض روايات القسم الثاني تشبه روايات أهل السنة سواء من حيث الراوي أو النص (ابن عقده كوفي، ١٤٢٤ق، ١٩٥). إلا أنّ بعض الروايات، مثل رواية ابن مسعود في تفسير الفرات (الكوفي، ١٤١٠هـ، ٢٠٧) قد وردت في المصادر السنية بسند مختلف، ورواية أبي هريرة في كتاب كفاية الأثر (خزاز الرازي، ١٤٠١هـ، ٨٩).) ورواية ابن عمر (ابن شاذان ١٤٠٧هـ ٢٣) روايات وردت في هذين الكتابين، لكنها لا توجد في نطاق الكتب التي ينظرها أهل السنة.

في القسم الأول من الروايات، أي الروايات المنقولة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، رواية نقلها الإمام علي عليه السلام في كتاب أمالي (١) (الصدوق: ١٣٧٦ش: ٢٧٦) وهي شبيهة بالرواية المذكورة في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل (حاكم الحسكاني، ١٤١١هـ، المجلد ١، ٣٩١)، لكن هناك زيادات في متنه وسنده. كما أن هناك رواية عن أبي حمزة الثمالي نقلاً عن الإمام الباقر عليه السلام (صفار ١٤٠٤هـ ج١، ٣٠) وهي من حيث النص شبيهة برواية عن أبي برزة الأسلمي في كتاب شواهد التنزيل القواعد التفضيل (حاكم الحسكاني، ١٤١١هـ، ج١، ٣٩٤). لكن الوثائق مختلفة تماماً.

الغالبية العظمى من الروايات التي رواها المعصوم ذكرت نقلاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الإمام علي عليه السلام هو الهادي، وفي أكثر من نصف الأحاديث ورد أنّ الهادي بعد الإمام علي عليه السلام هو الأئمة المعصومين عليهم السلام، وفي بعض الأحاديث زيادات فيها شرح عن أنّ الأئمة عليهم السلام هم الهادون.

لقد وردت روايتان للإمام علي عليه السلام إحداهما في تفسير العياشي (العياشي ١٣٨٠ هـ، ج ٢، ٢٠٤)، قال فيها الإمام علي عليه السلام إنّ نزول هذا الجزء من الآية في أهل البيت ذاكراً

هذه العبارة «فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآية» ونقلاً عن النبي ﷺ يعبر عن نفسه كمثال للهادي؛ والآخر في أمالي الصدوق الذي تقدم ذكره.

قد روى الامام الحسن عليه السلام رواية عن النبي ﷺ فيها قدّم النبي ﷺ في خطبة بعد أن أوصى الناس بالتمسك بالثقلين، أهل بيته كحجة الله حيث إنّ الأرض لا تخلو من وجودهم ثم إنّ النبي ﷺ استناداً إلى هذه العبارة من الآية، في رده على الإمام الحسن عليه السلام الذي سأله: من هم حجج الله؟ قال: إنّ الإمام علي عليه السلام هو الهادي بعدي ثمّ ذكر غيره من الأئمّة بأساميهم (خزاز رازي، ١٤٠١ق، ١٦٤-١٦٥).

حول هذه العبارة من الآية قد روى تسعة رواة عن الامام الباقر عليه السلام وستةرواة عن الامام الصادق عليه السلام ونظراً لتشابه المواضيع المذكورة أو تقاربها ومنعاً للتكرار فيتم التعبير عنها مجتمعة. في جميع روايات الإمام الباقر عليه السلام إلا الحالتين اللتين رواهما عبد الله بن عطاء وبريد بن معاوية المجلي (كوفى، ١٤١٠ق، ٢٠٥؛ صدوق، ١٣٩٥ق، ج ٢، ٧) وأربع حالات للإمام الصادق عليه السلام رواها عبد الله بن عطاء أبو بصير ومحمد بن مسلم وفضيل (قمي، ١٣٦٣ش، ج ١، ٣٦٠؛ صفار، ١٤٠٤ق، ج ١، ٣٠؛ كليني، ١٤٠٧ق، ج ١، ١٩٢؛ ابن بابويه، ١٤٠٤ق، ١٣٢؛ ابن عقده كوفي، ١٤٢٤ق، ١٩٦؛ ابن أبي زينب ١٣٩٧ق، ١١٠؛ صدوق، ١٣٩٥ق، ج٢، ٦٦٧) وفي جميع هذه الروايات تمّ التعبير عن كون الإمام علي عليه السلام هادياً. في رواية عبد الرحيم القصير عن الإمام الباقر عليه السلام وفي رواية الإمام الصادق عليه السلام نقلاً عن أبي بصير، ذكر أنّ الله تعالى يبيّن سنة وجود الهادي بين البشر بأنّ القرآن حيّ لا يموت والآية هي نفسها. ولو نزلت آية في قوم وماتت بموت ذلك القوم لمات القرآن أيضاً، لكن الآية صادقة في أقوام أخرى، كما كانت سارية في الأقوام الماضية. (عياشي، ١٣٨٠ق، ج٢، ٢٠٤؛ صفار، ١٤٠٤ق، ج٢، ٢٠٤؛ كليني، ١٤٠٧ق، ج١، ١٩١)؛ إضافة إلى ذلك أنّ عبد الرحيم القصير فيما بعد ينقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ القرآن حي لا يموت ويجري مثل الشمس والقمر والنهار والليل، والقرآن يجري على آخرنا كما جرى على أولنا (عياشي، ١٣٨٠ق، ج٢، ٢٠٤).

في رواية حنان بن سدير وبريد بن معاوية العجلي عن الامام الباقر عليه السلام وفي رواية أبي بصير وفضيل ومحمد بن مسلم عن الامام الصادق عليه السلام يتمّ الإشارة إلى أنّ كل إمام هو هادٍ

للزمان الذي يعيش فيه، وفي كل زمان، هناك هادٍ منا، الأئمة المعصومين عليهم السلام، يهدي إلى ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّ الهداة بعد علي عليه السلام هم أوصياء ذلك الإمام واحداً تلو الآخر، ولن يرفع عنا هذا الأمر إلى يوم القيامة، ولن يهلك فينا (صفار، ١٤٠٤ق، ج ١، ٢٩ و ٣٠؛ عياشي، ١٣٨٠ق، ج٢، ٢٠٤؛ كليني، ١٤٠٧ق، ج ١، ١٩١ و ١٩٢؛ ابن أبي زينب، ١٣٩٧ق، ١١١؛ ابن بابويه، ١٤٠٤ق، ١٣٢؛ ابن عقده كوفي، ١٤٢٤ق، ١٩٥؛ صدوق، ١٣٩٥ق، ج٢، ٦٦٨).

وفقا للبحث الحالي، ينبغي القول بأنّ الأحاديث التي تقدم الإمام علي عليه السلام هادياً بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم غيره من الأئمة عليهم السلام، واحدا تلو الآخر، إماما بعده، تطابق معايير مثل سياق الآية وظاهرها، معاني المفردات وشمول القرآن الزمني وهي أيضاً موافقة لسنة بعثة الرسول؛ مع ذلك، فإنّ تلك الروايات السنية التي تعتبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقط هادياً فهي صحيحة وفقًا لعصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك تلك الروايات التي تنص فقط على أنّ الإمام علي عليه السلام كان الهادي بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهي صحيحة بالنسبة لحياة الأمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أنّ هذه المجموعة من الأحاديث، سواء كانت عند الشيعة أو السنة، إذا تم وضعها في مجموعة عائلة الأحاديث بجانب الأحاديث التي تقدم أئمة آخرين عليهم السلام كهداة، فإنها كانت تسعي إلى بيان أنّ هذه الأحاديث تحاول تقديم هادٍ بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنكر وجود الهداة بعد علي عليه السلام. الجدير بالذكر أنّ وجهة النظر التي كانت تعتبر الله هادياً مرفوضة تمامًا لعدم توافقها مع العبارة المطلوبة وكلمة الهادي.

إنّ النقطة الأخرى التي تتبادر إلى الذهن هي أنّ الآراء التي تم نقلها في التعبير عن المثال للصحابة في المصادر السنية يمكن أن تتأثر بنظرتهم النحوية للآية. كما أنّ تلك الروايات التي تحاول بيان الأمثلة تدخل في مجموعة روايات الجري والتطبيق وليس تفسير الآية، ولكن لها علاقة وطيدة عن تفسير الآية.

١-٢- الروايات المرتبطة بسبب نزول الآيات

إنّ نقل الروايات التي جرت من المذهب السني إلى المذهب الشيعي بسبب أسباب النزول المشابهة فهي عديدة تستحق الذكر والدراسة.

من خلال دراسة التفسيرات الروائية للشيعة والسنة في بعض الأحاديث المذكورة تحت الآية ٢٩ من سورة الدخان، نري أنّ كلا الفريقين ذكر روايات فيها ويتمّ الإشارة إليها. تنقسم هذه الروايات إلى عدة أقسام:

أ- البكاء في قضية نزول الرزق وصعود عمل المؤمن عند الموت.

قد وردت تحت الآية العديد من الأحاديث الشيعية والسنية حول البكاء على نزول الرزق وعلى الباب الذي يصدر منه عمل المؤمن، وسيتم الإشارة إلى بعضها.

روي أنس عن رسول الله ﷺ وهو يقول: «ما من مؤمن إلا و له باب يصعد منه عمله و باب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه» (حويزي، ١٤١٥ق، ج٤، ٦٢٧؛ كاشاني، ١٤٢١ق، ج٦، ٢٨٦؛ طبرسي، ١٣٧٢ق، ج٩، ٩٩؛ قمي مشهدي، ١٣٤٨ق، ج١٢، ١٢٩؛ كاشاني، ١٣٣٦ق، ج٨، ٢٨١).

ب- بكاء مصلي المؤمن عليه وباب مصعد عمله

لقد نقل مفسرو روايات الشيعة والسنة أحاديث كثيرة بألفاظ مختلفة في الإشارة إلى بكاء مصلى المؤمن على الأرض وجزء من السماء الذي يرتفع منه عمله وسيتم الإشارة إلى بعض منها.

روي عن ابن عباس سئل عنه حول هذه الآية أنّه هل تبكي السماء والأرض علي أحد؟ ردّ قائلا: «نعم مصلاة في الأرض و مصعد عمله في السماء» (شبّر، ١٤٠٧ق، ج٥، ١٤٤٢؛ حويزي، ١٤١٥ق، ج٤، ٦٢٧؛ طبرسي، ١٣٧٢ق، ج٩، ٩٩؛ اشكوري، ١٣٧٣ق، ج٦، ١٠٦) علي الرغم من أنّ الزمخشري اعتبر رواية ابن عباس هذه علي سبيل التمثيل (الزمخشري، ١٤٠٧ق، ج٤، ٢٧٦).

قد ذكر بعض مفسري السنة رواية ابن عباس هذه مع زيادة في هذا الموضوع: «إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكى عليه؛ وإذا فقده مُصَلاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير، قال: فلم تبك

عليهم السماء والأرض» (طبري، ١٤١٢ق، ج٢٥، ٧١؛ ابن كثير، ١٤١٩ق، ج٧، ٢٣٣؛ سيوطي، ١٤٠٤ق، ج٦، ٣٠؛ سمرقندي، ١٤١٦ق، ج٣، ٢٧١).

بشكل عام، ومن خلال الروايات المروية، ووفقاً لمعيار تقديم الآيات والأحاديث الصحيحة، يمكن إثبات الارتباط بين مكونات الوجود ووعيها، ويمكن أخذه بمعناه الصحيح. على هذا الأساس، بكت السماء والأرض حقاً على الإمام الحسين عليه السلام. كما ظهر بكاءهما باللون الأحمر للأفق عند شروق الشمس وغروبها، في حين أن بكاء مكونات نظام الوجود، وخاصة السماء والأرض، مختص للإمام الحسين عليه السلام كمثال، مما يدل على عظمة استشهاده. وفقاً لعمومية الآية ٢٩ من سورة الدخان التي عبر فيها مفسرو الفرقين عن مفهوم الآية، مثل بكاء السماوات والأرض بعد استشهاد سيدنا يحيى والإمام الحسين عليه السلام هي مصاديق على البكاء حيث يعتبر مصداقاً أتمّ.

١-٣-الرواة المشتركون في سبب النزول

إنّ انتقال روايات سبب النزول من المصادر السنية إلى تفسيرات الشيعة تم بسبب عوامل مثل: الضرورة العقلانية والتاريخية في القرون الأولى من التاريخ الإسلامي وبعد وفاة نبي الله تشكلت اتجاهات فكرية مختلفة ذات عقائد متعددة حيث كان لكل منهما خلافات وصراعات مع بعضهما البعض حول القضايا الأساسية. وفي هذا الوقت، على الرغم من أن نطاق هذه الخلافات أدى في بعض الأحيان إلى المواجهة الجسدية، مثل فتنة خلق القرآن (حداد عادل، ١٣٩٦) ولكنها أتاحت فرصاً للمناظرات وتأليف الكتب والمراجعة العلمية والنقد لمختلف المواضيع الفكرية والنظرية والعملية. لقد حاول الرواة والمفسرون وعلماء هذه الفترة على اختلاف ميولهم الفكرية طرح وجهات نظرهم وإثباتها ونقد آراء المعارضين في مختلف المجالات. ولذلك فإن الصراعات الفكرية والسياسية في ذلك الوقت لم تكن بقدر الانقسام الحالي للعالم الإسلامي. لذلك فإن اختلاف الاتجاهات والتشتت الأيديولوجي جعل من المستحيل الاعتماد على المصادر المحددة لكل اتجاه وتجاهل مصادر الاتجاهات الأخرى. ولو اعتمد جماعة من المسلمين فقط على مصادرهم الخاصة، لعجزوا عن الدفاع عن الكثير من الروايات الأخلاقية والفقهية، ولعانوا من مأزق فكري ونظري، وحُرموا من جزء كبير من المعرفة الإسلامية.

إنّ الاهتمام بمكانة العقلانية والحكمة، خاصة في الفكر الشيعي، والعدالة العلمية والمنهج العلمي في القضايا، اقتضى هذا الأسلوب أن يثق المسلمون بالصالحين في رواية الأحاديث من كل اتجاه رغم اختلافهم الفكري. قد أدى ذلك الأمر إلى امتلاء الكتب التفسيرية والروايات الشيعية برواة من أهل السنة والمذاهب الإسلامية الأخرى، وامتلأت كتبهم برواة الشيعة. هذا اللقاء في رواية الحديث، الذي يدل على السلامة العلمية والأخلاقية لعلماء ذلك العصر، قد تسبب في أخذ جزء كبير من روايات نزول التفاسير الشيعية من المصادر السنية.

١-٤-الاعتماد علي ظاهر بعض آيات القرآن الكريم

قد وفر ظاهر بعض الآيات القرآنية الخلفية الفكرية للنقل. يؤكد هذا الأمر علي أنّ القرآن باعتباره المصدر الوحيد الموثوق لجميع المسلمين، يلعب دوراً أساسيًا في تعاليمهم الفكرية والمعرفية، وبعض آيات القرآن مبنية على العقل (يس: ٦٨؛ البقرة: ١٤٤). يوسف:١٠٩): ١٨) واتباع القول الأحسن (زمر:١٨) وأخوة المسلمين (الحجرات:١٠) ووحدة المسلمين (آل عمران:١٠٣) ووحدة الكلمة بينهم وبين أهل الديانات الأخرى (آل عمران:٦٤). ورغم أنّ هذه الآيات لها معنى عام ولا يمكن اعتبار الآية تعبيرا أو تأكيدا للنقل، إلا أنه يبدو أن هذا الجزء من آيات القرآن يوفر خلفية فكرية وعقائدية ضرورية للتعايش العلمي بين المسلمين والأمة وقد خلقت الأساس لثقتهم ببعضهم البعض بينما هناك اختلافات وتناقضات في أفكارهم. (ستار، ١٣٩٣).

١-٥- وجود بعض الروايات الشيعية التي تمهّد السبيل للنقل

يمكن أن يكون جزء من الروايات الشيعية غير المباشرة تأكيداً وأساساً لنقل الروايات، كالروايات التي تدل علي التعلم من أي مصدر: «الْحِكمة ضَالّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُمَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ضَالّتَهُ فَلْيَأْخُذْهَا» (الكليني، ١٤٠٧، ج٨، ١٦٧)، أو روايات تدل على التعلم وإن كان من أهل الشر: «الحكمة ضالة المؤمن فَلْيَطْلُبُهَا وَلَوْ فِي أَيدِي أَهْل الشر» (ابن شعبه حواني،١٣٦٣، ٣٦١) ورواية أصرح في تحصيل الحكمة أيا كان مصدرها: «خُذِ الْحِكْمَةَ مِمّنْ أَنَا بِهَا وَانْظُرْ إِلى مَا قَالَ وَلا تنظرُ إِلَى مَنْ قَال» (آمدي، ١٤١٠، ٣٦١).

من هنا يمكن الاستفادة من أنّ إطلاق العلم يشمل علوم النقل مثل رواية الحديث وذكر اسم "الصين" الذي لم يكن الإسلام في ذلك الوقت قد وصل إليه بعد، مما يدل على الاستخدام العلمي للمصادر غير الإسلامية وفي الطريقة الأولى المصادر الإسلامية غير الشيعية (ستار، ١٣٩٣).

١-٦- توضيح بعض الروايات التي تمهّد السبيل للنقل

تؤكد بعض روايات أهل البيت عليهم السلام علي نقل الروايات صراحة وتؤكد على معقوليتها، مثل رواية هشام بن سالم عن الامام الصادق: «عن هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عبد الله هل جُعِلْتُ فِدَاكَ عِنْدَ الْعَامَّةِ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْءٌ يصِحُّ فَقَالَ نَعَمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَنَالَ وَأَنَالَ وَأَنَالَ وَعِنْدَنَا مَعَاقِلُ الْعِلْمِ وَفَضْلُ مَا بَيْنَ النَّاسِ» (صفار، ١٤٠٤ق، ج١، ٣٦٣).

١-٧- حضور رواة مشتركين في روايات سبب النزول

مثل ابن عباس عبدالله ابن مسعود، سعيد بن جبير و مجاهد بن جبر الذين اعتمد عليهم العلماء الشيعة والسنة (معرفت، ١٣٨٥، ٢١١، ٢١٨، ٣٠١، ٣١٢).

١-٨- المكانة العلمية والمكانة الاجتماعية لبعض علماء الشيعة:

كان للشيخ الطوسي، أحد مفسري الشيعة، دور مهم في نقل روايات سبب النزول إلى تفاسير الشيعة واعتبارها قبولا. لذا يرى السيد مرتضى العسكري أنّ من عوامل نقل روايات سبب النزول هي نقل روايات منقولة كثيرة عن شبب النزول في تفسير التبيان، وقد ورد جزء كبير منها في التفسير مجمع البيان وجوامع الجامع للطبرسي ثم في معظم كتب التفاسير الشيعية (عسكري، ١٣٧٩، ج٣، ٢٥٣). إنّ مكانة الشيخ الطوسي ووزانته العلمية واضحة وثابتة عند المفسرين من بعده حتى العصر المعاصر لدرجة أنّ روايته وحدها هي السبب في نقل كثير من روايات سبب النزول لأهل السنة إلى تفاسير الشيعة. بحسب إحصائيات المؤلفين، فقد ورد عن الشيخ الطوسي أكثر من ٥٠ رواية منقولة في سبب النزول، وقد شكلت روايتها الأساس لذكر هذه الروايات في تفاسير الشيعة (عليانسب، ١٣٩٧، ٥٩). لذلك إنّ الدراسة التاريخية للروايات المنقولة تبين أيضاً أنّ تلك الروايات

وردت في كتب السنة قبل مصادر الشيعة وبعد نقلها إلى تفاسير الشيعة، وبعد النقل إلى تفاسير الشيعة، وصل الأمر إلى أنّ هناك تفاسير شيعية قليلة لا تذكر بعض هذه الأحاديث. أي قلما وجدت تفاسير شيعية لم تتأثر بمجمع البيان، في حين أنّ مجمع البيان هو أيضا نوع من الشرح والتفسير والتصنيف لمحتويات كتاب التبيان للشيخ الطوسي.

١-٩- صدور الحديث والكشف عن الروايات الموضوعة

إنّ مفسري الشيعة، بعد نقد وثائق الروايات التفسيرية وتحليل موثوقية الرواة، يقومون بدراسة مبدأ صدور الحديث أو عدم صدوره عن المعصوم عليه السلام ويثبتون صحة نقل الحديث عن معصوم عليه السلام أو عدم صحته من خلال بعض المعايير، مثل عرض نص الحديث على آيات القرآن الكريم، والسنة الحتمية للمعصومين عليهم السلام، والأدلة الفكرية، وبعض الأحداث والوقائع التاريخية القطعية، والقوانين المثبتة للعلوم التجريبية بحيث يتم تمييز الأحاديث الحقيقية من الموضوعة وتخرج الأحاديث المصطنعة عن الحجية والاعتبار. يمكن ذكر أمثلة النقاد في تفسيرات الشيعة على النحو التالي:

أ- نبي يطرد الفقراء والمساكين عن نفسه

ردّ السيد مرتضى الأحاديث التي وردت في تفسير سورة عبس التي تقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كشخص أعرض عن عبد الله بن المكتوم وعبس، (السيوطي، ١٤٠٧، ج٦، ٣١٤؛ الرازي ١٣٥٧، ج٣٠، ٤٥٣). ويقول بلباقة ونظرة بليغة:

هنا أمر مؤكد وأمر مشكوك فيه. والمؤكد هو ذم عبوسية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأيضا مدح النبي بالخلق العظيم من الله في القرآن الكريم. أما المشكوك فيه هو تكشيرة صلى الله عليه وآله وسلم ووجهه المنكمش أمام مؤمن أعمى عاجز ولا نستطيع عقلانيا ومنطقيا أن نفضل المعنى القطعي للعقل والآيات القرآنية الواضحة على المعنى المفترض لهذه الروايات (علم الهدى، ١٤٠٩، ١٠٩).

ينقد العلامة الطباطبائي بنظرة حكيمة هذه الروايات ويقول:

ليست الآيات ظاهرة الدلالة على أن المراد بها هو النبي صلى الله عليه وآله بل خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه بل فيها ما يدل على أن المعنى بها غيره لأن العبوس ليس من صفات النبي صلى الله عليه وآله مع الأعداء المباينين فضلا عن المؤمنين المسترشدين. ثم

الوصف بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة كما عن المرتضى رحمه الله. وقد عظم الله خلقه ﷺ إذ قال ـ وهو قبل نزول هذه السورة ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فكيف يعقل أن يعظم الله خلقه في أول بعثته ويطلق القول في ذلك ثم يعود فيعاتبه على بعض ما ظهر من أعماله الخلقية ويذمه بمثل التصدي للأغنياء وإن كفروا والتلهي عن الفقراء وإن آمنوا واسترشدوا. وقال تعالى أيضا: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (حجر/ ٨٨) و﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (انعام/ ١٠٦) فكيف يتصور منه صلى الله عليه وآله العبوس والإعراض عن المؤمنين وقد أمر باحترام إيمانهم وخفض الجناح وأن لا يمد عينيه إلى دنيا أهل الدنيا. (طباطبايي، ١٣٦١، ج٢٠، ١٩٩).

ب- جهنم مستساغة ولذيذة

يقول العلامة الطباطبائي في نقد حديث «حَرُّ جَهَنَّمَ علي امّتي مِثلَ الحَمّام» (الالباني، ١٩٩٠، ١٨٤) الذي نسبه أبوهريرة إلى النبي ﷺ ويدل علي أنّ حرّ جهنم لا يؤذي المسلمين:

إنّ هذا الحديث مذموم لأنه موضوع ومخالف للكتاب والسنة. العقل والمنطق ينفيان ذلك أيضًا. هذه الروايات من ثرثرة الذين يسخرون من وعيد الله ويهزئونه ويرون أنّ حر الجحيم الشديد الذي أوقده المنتقم الجبار للعصاة عامة لا يصيب هذه الأمة وإنما هو للأمم السابقة بينما تدل الآيات الكثيرة من القرآن الكريم علي أنّ جميع الأمم متساوية أمام القانون الإلهي ومن هذه الآيات هي: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ (الهمزة/ ٦)، ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (الهمزة/ ٧)، ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (البقرة/ ٢٤)، ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾ (التوبة/ ٣٥)، ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (تكوير/ ١٢)، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ (نازعات/ ٣٦) أو الآيات التي فيها تهديد للذين يتركون الجهاد: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (توبه/ ٨١) والذين يأكلون أموال اليتامى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (طباطبايي، ١٣٦١، ج١٧، ١١٣).

ج- دفن البنات، علامة الكرامة

ينقد الشيخ البهائي هذا الخبر المختلق «دَفنُ البَناتِ مِنَ المُكرّمات» (السيوطي،

١٤٠٣ق، ج٢، ٤٣٨) ويردّه قائلاً:

لا شك في أنّ نسبة هذه الخرافة إلى المعصومين عليهم السلام لا يمكن أن تكون صحيحة؛ بينما القرآن الكريم يدين بشدة هذا العمل الشنيع في بعض الآيات ويعتبره مصدرا للعقاب في الآخرة نحو: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير/ ٨ و ٩) و ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ((نحل/ ٥٨ و ٥٩) فلا شك أنّ هذه الرواية المختلقة والموضوعة ناشئة عن سنة الجاهلية. (العاملي، ١٤٠٥ق، ١٤٧).

١-١٠- التأييد التاريخة للروايات الشيعية

من الاتهامات السخيفة لعلماء السنة - الذين ينسبون منذ زمن طويل إلى دين الشيعة ويشيرون إليه على أنه ضعف الشيعة - أنّ هذا المذهب لا أصل له ولا جذور، حيث إنّ هذه النسبة غير الصحيحة جعلت شيوخ الشيعة يبحثون بكل ما في وسعهم عن نقل كتب الحديث العلمي للشيعة. الشيخ جليل القدر أبو العباس النجاشي (م ٤٥٠م) بعد الإشارة إلى الافتراء المذكور أعلاه، اعتبر الجواب عليه مصدر قائمته. إنّ الرد على هذه المشكلة دفع علماء آخرين مثل الشيخ الطوسي والشيخ آقا بزرك الطهراني إلى تجميع قائمة بأعمال ومؤلفات علماء الشيعة كما أنّ بعض الشيوخ الآخرين، مثل علي بن موسى التبريزي، صاحب كتاب مرآة الكتاب، والسيد إعجاز حسين، صاحب كتاب كشف الحجب والأستار، خصصوا أيضاً أعمالاً لفهرسة المؤلفات الشيعية.

بالإضافة إلى الطريقة المذكورة أعلاه، يمكن استخدام طريقة أخرى للإجابة على المشكلة المذكورة. بهذه الطريقة يمكن إثبات اكتشاف الروايات المشتركة بين الشيعة والسنة في مختلف مجالات المعرفة، بما في ذلك التفسير وأصالة المذهب الشيعي وتجذره. في الواقع إنّ هذا الأسلوب هو اكتشاف أمثلة ملموسة لحديث الإمام الصادق عليه السلام الشهير:

حديثي حديث أبي، وحديث أبي جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و حديث رسول الله قول الله عز و جل (باقري و رحمان ستايش، ١٣٨٧).

١-١١- وجود رواة أهل السنة المخصصين في سند الرواية

من العلامات الأخرى لنقل روايات سبب النزول هي وجود راوي أهل السنة المخصص في سند الرواية.

بما أنّ رواة الشيعة لا يروون عن أمثال عمر بن الخطاب، فإذا انتهي سند الرواية في تفاسير الشيعة إليه، فمن المحتمل أن تكون الرواية منقولة من مصادر سنية. السبب الوحيد لنقل هذه المجموعة من الأحاديث هو تراجع إجماع الشيعة على عدم ثقة رواة هذه الأحاديث وخاصة أنّ هذه الحساسية ستكون أكثر في إثبات سبب نزول الآيات، وهو إثبات فهم وتفسير آيات كتاب الله وفهم تعاليمه.

على هذا فإذا روي حديث عن رجال أهل السنة ورواتهم ولم يكن هناك قرينة لنقله عن التقية مع إثبات فضائل أهل البيت فمن المحتمل أن تكون هذه الروايات منقولة عن أهل السنة. عمر بن الخطاب، الخليفة الثاني، من الشخصيات المعروفة في التاريخ الإسلامي. مع أنّه لا شك في عدله عند أهل السنة ومكانته عند الشيعة، إلا أنّ الشيخ الطوسي روى عنه رواية. في سبب نزول الآية «ولقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين التبعوة في ساعة العسرة» (توبه: ١٧) يروي هذه الرواية: «روي عن عمر أنّه قال: أصابنا عطش شديد فأمطر الله السماء بدعاء النبي ﷺ فعشنا بذلك (طوسي، بيتا، ج٥، ٣١٤)؛ في هذه الرواية، بالإضافة إلى وجود راوي أهل السنة المخصص، فإنّ أسبقية نقلها في المصادر السنية دليل آخر على نقلها.

يقول أبو بكر بزاز (متوفي ٢٩٢هق) بإسناده عن ابن عباس، أنه قيل لعمر بن الخطاب (بزاز، ١٩٩٨، ج١، ٣٣١): حدثنا من شأن ساعة العسرة. فقال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلا فأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيرا، فادع لنا. فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأهطلت ثم سكبت.. دلائل النبوة ابو بكر فريابي (متوفاي ٣٠١هـ.ق.) (فريابي، ١٤٠٦، ج١، ٧٧)، تفسير طبري (طبري، ١٤١٢، ج١، ٥٤٢-٥٤١)، صحيح ابن حبّان (متوفاي ٣٥٤هـ.ق.)، (دارمي، ١٤١٤، ج٤، ٢٢٣) و تفسير ثعلبي (الثعلبي، ١٤٢٢، ج٥، ١٠٥).

٢- باثولوجيا الروايات المنقولة

طريقة علماء الشيعة وعلى رأسهم الشيخ الطوسي في إدخال الروايات المنقولة في تفاسير الشيعة، رغم أنها أدت إلى استفادة الشيعة من المصادر غير الشيعية والتقارب الديني بين المذاهب الإسلامية، إلا أنّ الضرر الرئيسي لنقل هذه الأحاديث هو الخلط بين الروايات الأصيلة وغير الأصيلة، وإيجاد خلفية لدخول الاختلاق والإسرائيلية إلى المصادر الشيعية وعدم التمييز بين الجيّد والرديء (آستار، ١٣٩٣). لذلك لا بد من التعرف على الروايات الأصيلة من المنقولة والمنقولة المحكمة من غير المحكمة منعاً لهذه الأضرار، خاصة في روايات سبب النزول التي تعرف بالأدلة المنفصلة في فهم آيات القرآن وتفسيرها. فيما يلي يتمّ نقل روايتين من هذا الصنف من الروايات ثم إثبات انتقالهما من المصادر السنية المتقدمة:

يقول الشيخ طوسي (المتوفي ٤٦٠.ق.) في تبيين سبب نزول الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً﴾ (البقرة ٢٦)

روى عن ابن مسعود و ابن عباس أن الله تعالى لما ضرب هذين المثلين للمنافقين و هو قوله ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ و قوله ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال المنافقون: الله أجل من أن يضرب مثلاً الى آخر الآية. ثم بعد أن ذكر جوانب أخرى من نزول هذه الآية يرى أن قول ابن عباس هو الأفضل (طوسي، لاتا، ج ١، ١١٠).

أ - نقل المنابع الشيعية: ذكر المفسرون الشيعة رواية سبب النزول نفسها مثل رواية الشيخ الطوسي: الطبرسي (المتوفي ٥٤٨هـ.ق.) في جوامع الجامع (الطبرسي، ١٣٧٧، ج١، ٣٢) ومجمع البيان (الطبرسي ١٣٧٢، ج١، ١٦٥). ملا فتح الله كاشاني (المتوفي ٩٨٨هـ.ق) في خلاصة المنهج (كاشاني، ١٣٧٣، ج١، ٣٠). الطبرسي (المتوفي، ٥٤٨هـ.ق.) في مجمع البيان أيضاً (الطبرسي، ١٣٧٢، ج١، ٢٦٠)، صدرالدين شيرازي (المتوفي ١٠٥٠هـ.ق.) في تفسيره (صدرالدين شيرازي، ١٣٦٦، ج٣، ٤٥٣) ومكارم شيرازي في تفسير الأمثل (مكارم شيرازي، ١٣٢١، ج١، ٢٥١) ذكروا سبب النزول هذا.

ب - نقل متقدم لمنابع أهل السنة: أول مرة روى الطبري (المتوفي ٣١٠هـ) سببالنزول هذا في جامع البيان في تأويل القرآن، عن ابن عباس، وهو عن مرح بن شراحيل، وهو عن ابن مسعود وهو عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ (الطبري، ١٣٢٠، ج١، ٣٩٩). يذكره ابن حجر العسقلاني (المتوفي ٨٥٢هـ) بـ"أبو إسماعيل مرة بن شراحبيل الهمداني الكوفي، الملقب بمرة الطيب ويقدمه على أنه رجل صالح ورع توفي سنة ٧٦ أو بعده (ابن حجر العسقلاني، ١٤٠٦ق، ج١، ٥٢٥). يروي ابن أبي حاتم (المتوفي ٣٢٧هـ) الرواية نفسها بسند مختلف عن السدي (ابن أبي حاتم، ١٤١٩، ج١، ٦٨).

في دراسة المصدر الأول لهذه الرواية، روى الطبري (المتوفي ٣١٠هـ) هذه الرواية عن مجاهد وسدي بعدة أسناد مختلفة (الطبري، ١٤٢٠، ج١، ٢٥٤). كما نقلت مصادر سنية لاحقة هذه الرواية في أسناد مختلفة. وقد روى واحدي النيشابوري (المتوفي ٢٦٨هـ) سبب النزول هذا بأسناده، نقلاً عن مجاهد (الواحدي، ١٤١١، ١٨).

من خلال البحث في روايات سبب النزول لتفاسير الشيعة، تجدر الإشارة إلى أنّ ما لا يقل عن ٧٠ رواية لسبب النزول هي على الأرجح من الروايات المنقولة بسبب أسبقية النقل في المصادر السنية وفقدان النقل الشيعي (عليانسب، ١٣٩٧). ولذلك فإنّ المعيار المذكور أعلاه هو أحد معايير التعرف على روايات سبب النزول المنقولة والذي أكثر استعمالاً وفي أغلب هذه الروايات السبب الوحيد الذي يقوي احتمال النقل هو هذا القياس. تجدر الإشارة إلى أنّ منع كتابة الروايات وتدوين الأحاديث في القرون الأولى الهجرية، خاصة عند الشيعة، كان سبباً في ضياع جزء كبير من الروايات (منفي هندي، ١٤٠١، ج١٠، ٢٨٥) وهذا الأمر جعل من المستحيل عليهم التأكد من نقل أحاديث كثيرة.

يبدو أنّه بحسب المصادر المتوفرة فإن هذه المجموعة من الأحاديث التي لم يوجد لها النقل الشيعي، ولكن يتوفر النقل السني المتقدم، قد نقلت من مصادر سنية، وهذا معيار آخر لتحديد روايات سبب النزول المنقولة.

نتيجة لذلك، بالإضافة إلى تقدّم نقل هذه الرواية للسند نفسه في المصادر السنية، تجدر الإشارة إلى أنّ الرواة والمصادر المعتبرة لتفسير الشيعة وروايتهم لم تهتمّ بنقل روايات

مخالفي أهل البيت. لذلك فإنّ ختام سند الرواية المنقولة في المصدر الشيعي إلى مثل هؤلاء الأفراد تدل علي كون مثل هذه الروايات منقولة. من ثمّ إنّ رواية الشيخ الطوسي عن عمر من الروايات المنقولة لسببين (أسبقية نقل هذه الرواية عن أهل السنة وخلوص الرواية إلى رواة أهل السنة المخصصين).

النتيجة:

١- إنّ الروايات الموجودة في مصادر الفريقين حول الآية السابعة من سورةالرعد تدل علي أنّ المسلمين في تلك الأيام كانوا ينتبهون إلى عبارة ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وكان تحديد مصداقيتها أمرا مهما بالنسبة لهم. كما أنّه في روايات الشيعة، في البداية تم تقديم الإمام علي عليه السلام كالهادي، ثم تم تقديم الأئمة الآخرين عليهم السلام كالهداة من بعده، لذلك يمكن الاستنتاج أنّ التعبير عن المعرفة بهذا الشكل يدل علي روايات أهل السنة؛ لأنه من بين الروايات السنية، تنسب وجهة النظر الوحيدة التي تقدم الإمام علي عليه السلام كالهادي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّ كيفية تعبير المعصومين تؤكد وجهةالنظر هذه وتسعي إلى تقديم غيره من الهداة.

٢- وفقا للبحث الحالي، ينبغي القول بأنّ الأحاديث التي تقدم الإمام علي عليه السلام هادياً بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم غيره من الأئمة عليهم السلام، واحدا تلو الآخر، إماما بعده، تطابق معايير مثل سياق الآية وظاهرها، معاني المفردات وشمول القرآن الزمني وهي أيضاً موافقة لسنة بعثة الرسول؛ مع ذلك، فإنّ تلك الروايات السنية التي تعتبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقط هادياً فهي صحيحة وفقاً لعصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك تلك الروايات التي تنص فقط على أنّ الإمام علي عليه السلام كان الهادي بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهي صحيحة بالنسبة لحياة الأمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- كما أنّ هذه المجموعة من الأحاديث، سواء كانت عند الشيعة أو السنة، إذا تم وضعها في مجموعة عائلة الأحاديث بجانب الأحاديث التي تقدم أئمة آخرين عليهم السلام كهداة، فإنها كانت تسعى إلى بيان أنّ هذه الأحاديث تحاول تقديم هادٍ بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنكر وجود الهداة بعد علي عليه السلام. الجدير بالذكر أنّ وجهة النظر التي كانت تعتبر الله هادياً مرفوضة تماماً لعدم توافقها مع العبارة المطلوبة وكلمة الهادي.

٤- من خلال الدراسة المقارنة لروايات الشيعة والسنة التفسيرية تحت الآية ٢٩ من سورة الدخان، يمكن فهم أنّ هذا الحدث قد روى بطرق عديدة في المصادر الشيعية والسنية بحيث لا تدع مجالاً للشك في أنه بعد استشهاد الإمام الحسين بكت الأرض والسماء كائنات الكون الأخرى على استشهاده. كما أنّ اختصاص بكاء أجزاء الكون علي الإمام وسيدنا يحيى دليل على عظمة استشهادهما. يرى بعض المفسرين من أهل السنة أنّ الروايات التي تصف بكاء السماء والأرض عند استشهاد الإمام الحسين فيها نظر، والظاهر أنها من افتراءات الشيعة وأكاذيبهم لكي يظهرونه عظيماً، ولا شك أنه أمر عظيم؛ لكن هذه الأحداث التي كذبوا بشأنها لم تحدث؛ لأنه حدث أكبر من مقتل الحسين ولم يحدث ما ذكره الشيعة، في حين أنّ هذه الآية عبرة للإنسان؛ كما اعتبر الإمام علي عليه السلام هذه الآية عبرة للتاريخ بأنّ الناس، رغم كل ما يملكون ومجدهم وجلالهم في الدنيا، يخسرون كل شيء عندما يموتون، ولن يعيشوا في الدنيا إلا إذا عملوا الصالحات وأحسنوا الأعمال بقوا في الدنيا.

٥- لقد نقل بعض مفسري الشيعة روايات أهل السنة في شرح سبب نزول آيات القرآن من خلال ملاحظة توافق محتوى الرواية مع المعتقدات الشيعية ومن خلال البحث في المصادر الشيعية، لا يمكن العثور على أي أثر لمصدر شيعي مستقل لتلك الرواية وحسب أسبقية نقلها من المصادر السنية يتعزز احتمال نقلها من المصادر السنية، وفي سند بعض روايات سبب النزول في تفاسير الشيعة يمكن رؤية أسماء أشخاص مثل عمر بن الخطاب، حيث لا يروي رواة الشيعة عنهم مطلباً إلا من باب التقية أو إثبات فضائل أهل البيت. إنّ هذه الروايات على الأغلب مروية من مصادر سنية، وقد نقلت إلى مصادر شيعية.

٦- لا تتوافق بعض الروايات المتعلقة بسبب النزول في تفاسير الشيعة إلا مع تعاليم السنة وتتنافى مع مبادئ الشيعة. دون ملاحظة سند هذه المجموعة من الروايات، فمن المحتمل أن تكون هذه الروايات قد انتقلت من المصادر السنية إلى التفسيرات الشيعية.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. ابن أبي حاتم، ابومحمد عبدالرحمان بن محمد. (١٤١٩). تفسيرالقرآن العظيم، عربستان سعودي: مكتبه نزارمصطفي الباز.

٢. ابن أبي زينب، محمدبن ابراهيم. (١٣٦٧ش).الغيبه للنعماني، تهران: نشر صدوق.

٣. ابن بابويه، علي بن الحسين. (١٤٠٤). الامامه و التبصره من الحيره، قم: مدرسه امام مهدي عج.

٤. ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي. (١٤٠٦). تقريب التهذيب، حلب: دارالرشيد.

٥. ابن شاذان، محمدبن احمد. (١٤٠٧). مائه منقبه من مناقب امير المؤمنين علي بن أبي طالب و الائمه من ولده عليهم السلام، قم: مدرسه امام مهدي عج.

٦. ابن عقده الكوفي، احمدبن محمد. (١٤٢٤). فضائل امير المؤمنين عليه السلام، قم: دليل ما.

٧. ابن كثير، ابوالفدا اسماعيل بن عمر. (١٤١٩). تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمدحسين شمس الدين، بيروت: دارالكتب العلميه.

٨. ابو ليث السمرقندي، نصربن محمد. (١٤١٦). بحرالعلوم، بيروت: دارالفكر.

٩. الإسترآبادي، سيد شرف الدين علي. (١٤٠٩). تأويل الايات الظاهره، قم: دفتر انتشارات اسلامي.

١٠. آقابزرگ التهراني، محمدحسين. (١٣٧٦). زندگي نامه و آثار شيخ طوسي، ترجمه: علي رضا محمد و حميد طبيبيان، تهران: پژوهشكده علوم انساني و مطالعات فرهنگي.

١١. الآلوسي، محمود بن عبدالله. (١٤١٥). روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني، بيروت: دارالكتب العلميه.

١٢. الآمدي، عبدالواحد بن محمد. (١٤١٠). غررالحكم و درر الكلم، تحقيق: سيد مهدي رجايي، قم: دارالكتب الاسلامي.

١٣. باقري، حميد؛ رحمان ستايش، محمدكاظم. (١٣٨٧). كاركردهاي نقل روايات اهل سنّت در منابع شيعي با تكيه بر روايات تفسيري، علوم حديث، ١٣، ٣و٤، ١٥٢-١١١.

١٤. البحراني، سيد هاشم. (١٤١٦). البرهان في تفسيرالقرآن، تهران: بنياد بعثت.

١٥. البحراني، هاشم بن سليمان. (١٤١٦ق). البرهان في تفسير القرآن، جلد ٦، تهران، بنياد بعثت.

١٦. البزاز، احمدبن عمرو(١٩٩٨). البحرالزاخر: مسندالبزاز، تحقيق: محفوظ الرحمان زين الله، مدينه منوره: مكتبه العلوم و الحكم، الطبعه الأولى.

١٧. الجصاص، احمدبن علي. (١٤٠٥). احكام القرآن، بيروت: دار احياء التراث العربي.

١٨. الحاكم الحسكاني، عبيدالله بن عبدالله. (١٤١١). شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تهران: وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي.

١٩. الخزاز الرازي، علي بن محمد. (١٤٠١). كفايه الاثر في النص علي الائمهالاثني عشر، قم: مكتب الاعلام الاسلامي.

٢٠. الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن. (١٤٢١). مسند الدارمي، رياض: دارالمغني.

٢١. رحمان ستايش، محمدكاظم؛ جمالي گندماني، احمد. (١٣٩٧). مباني نقد قرآن محور روايات تفسيري؛ بر پايه سيره معصومين عليهم‌السلام در عرضه روايات، فصلنامه تخصصي مطالعات قرآن و احاديث سفينه، ١٥(٦٠)، ٣٢-١٠.

٢٢. رحيمي، سيده وحيده؛ باقري، كبري. (١٣٩٦). جايگاه روايات تفسيري اهل بيت عليهم‌السلام در زادالمسير، ٣(٢)٦، ١٨٥-١٦٣.

٢٣. الزمخشري، محمود بن عمر. (١٩٧٩). اساس البلاغه، بيروت: دار الفكر.

٢٤. السيوطي، جلال الدين. (بيتا). الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، دارالفكر.

٢٥. شكراني، رضا؛ سيدنادري، طاهره سادات. (١٣٩٧). پژوهشي نو در گونه شناسي مداليل روايات تفسيري و فوايد آن، دوفصلنامه علمي- پژوهشي حديث پژوهي، ١٠(١٩)، ٧٦-٤٥.

٢٦. الصدوق، محمد بن علي. (١٣٩٥). كمال الدين و تمتم النعمه، تهران: اسلاميه.

٢٧. الصدوق، محمدبن علي. (١٣٧٦). الامالي، تهران: كتابچي.

٢٨. الصفار، محمد بن الحسن. (١٤٠٤). بصائرالدرجاتفي فضائل محمد صلي الله عليهم، قم: مكتبه آيه الله النجفي.

٢٩. الطباطبايي، محمدحسين. (بيتا). الميزان في تفسير القرآن، قم، منشورات جامعه المدرسين.

٣٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن. (١٣٧٢). مجمع البيان لعلوم القرآن، تهران: ناصر خسرو.

٣١. الطبرسي، الفضل بن الحسن. (١٤١٨ق). تفسير جوامع الجامع، اول، قم، موسسه النشر الاسلامي.

٣٢. الطبري، محمد بن جرير. (١٤١٢). جامع البيان عن تأويل القرآن، بيروت: دار المعرفه.

٣٣. الطوسي، محمد بن الحسن. (١٤١٤ق). الأمالي، جلد اول، قم، دارالثقافه.

٣٤. العياشي، محمد بن مسعود. (١٣٨٠). التفسير العياشي، تهران: مكتبه الاسلاميه.

٣٥. القمي، علي بن ابراهيم. (١٣٦٣). تفسير القمي، قم: دار الكتاب.

٣٦. الكوفي، فرات بن ابراهيم. (١٤١٠). تفسير فرات الكوفي، تهران: وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي.

٣٧. الماوردي، علي بن محمد (بيتا). النكت و العيون تفسير الماوردي، بيروت: دار الكتب العلميه.

٣٨. مسعودي، عبدالهادي. (١٣٧٦). عرضه حديث بر امامان (١)، مجله علوم حديث، سال ششم.

٣٩. مكي بن ابيطالب، ابو محمد. (١٤٢٣). مشكل اعراب القرآن، بيروت: دار اليمامه.

٤٠. مهريزي، مهدي. (١٣٨٩). روايات تفسيري شيعه، گونه شناسي و حجيت، علوم حديث، ١٥(١(٥٥))، ٣٤-٤.

٤١. وحدتي شبري، سيده زينب. (١٣٩٢). تحليل گونه شناسي روايات تفسيري معصومين عليهم السلام، دوفصلنامه